

* إذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة *

«أى تبين أنى ولد كريمة» (١٠٠).

والمتدبر لرأى الزمخشري في نصه يرى أن «إذ» في الآية ليست للتعليل وإنما هي بدل من اليوم، باقية على ظرفيتها، ولكن يواجه الزمخشري بمشكلة مؤداها أن إذ ظرف زمان ماضٍ، «ولن ينفعكم وفاعله، «واليوم» المذكور ليس بماضٍ، فكيف يبدل ماضٍ من مستقبل؟

لقد أحسّ الزمخشري بإشكال هذه القضية، ولكنه وجد مخرجاً لها وهو تنظيره بشرط البيت السابق.

ولوضوح هذا التنظير نقول: إن هذا الشرط تكملته:

* ولم تجدى من أن تُقرى بها بذا *

وهذا البيت لزائد بن صعصعة، وكانت له امرأة فطمحت عليه، وكانت أمها سرية فقال هذا البيت، وقبله:

رَمَتْنِي عَنْ قَوْسِ الْعَدُوِّ وَبَاعَدَتْ عبيدةُ زاد الله ما بيننا بُعداً (١٠١)
والتنظير بهذا البيت قائم على أن جواب الشرط وهو: «لم تلدنى» ماضٍ في المعنى، وإن كان مضارعاً في اللفظ، ومضى المعنى جاء إليه من «لم» الداخلة على الفعل المضارع حيث تقلب معناه إلى المضى بعد أن كان صالحاً للحال والاستقبال هذه ناحية.

وناحية أخرى، فإن ولادته حدثت منذ زمن بعيد، ولا شك أن هذا لا يتفق مع إذا التي خصصت للمستقبل.

إنّ مضى جواب الشرط، والولادة التي حدثت في الزمن الماضي البعيد، كلاهما ليس مراداً للشاعر، وإنما المراد أننا إذا تفاخرنا بتبين لنا أننى لم تلدنى